

## من آثار فشل الانقلاب التركي على الشرق الأوسط

محمد إلهامي

### (1) مصائر تركيا بين انقلابين

لئن ضعفت الدولة العثمانية في أواخر أيامها، وفقدت بعض أراضيها، إلا أنها ظلت قوة قائمة في الساحة العالمية، لكنها خرجت من ساحة القوى العالمية وبدأت مسار الانهيار الكبير منذ الانقلاب العسكري على السلطان عبد الحميد الثاني (1909م).

منذ تلك اللحظة انتصرت الإرادة الغربية على الإرادة الإسلامية في قلب عاصمة الخلافة الإسلامية، وبدأ حكم الاتحاد والترقي الذي افتتح عهده بالتخلي عن ليبيا بمجرد أن نزلها الإيطاليون في إعلان صريح أن الدولة العثمانية لا تهتم بهذا الإقليم، ثم نزل الاتحاديون بثقلهم في الحرب العالمية الأولى مما استنزف المجهود العثماني حيث تحملت الدولة العثمانية العبء الأكبر في تلك الحرب، ثم هُزمت مع حلفائها وبدأت تفقد البقية الباقية من أراضيها وصارت تُعقد الاتفاقيات لتقسيم تركتها.

ثم جاء الحكم الجمهوري الذي انتزع نفسه من الجسد الإسلامي الكبير، واكتفى بأن يحكم المساحة الجغرافية الحالية لتركيا، وألغيت الخلافة الإسلامية، واتخذت إجراءات شرسة لمطاردة الإسلام، فانتهدت الدولة العثمانية العظيمة إلى قطعة جغرافية صغيرة من الأرض منعزلة على نفسها تقطع صلاتها مع المسلمين في الشرق الأوسط والبلقان وآسيا الوسطى، وتنفض يدها من كل علاقة مع إفريقيا والهند وشرق آسيا.

يمكن اختصار هذا القرن الفائت كله في أنه صراع بين الإرادتين: الإرادة الغربية والإرادة الإسلامية في تركيا، فمنذ أتاحت الفرصة للشعب التركي ليعبر عن نفسه وهو يختار ممثلي الإرادة الإسلامية، وما إن يبدأ هؤلاء في العمل الجاد حتى تتحرك الإرادة الغربية لتدبير انقلابا عسكريا يعيد تركيا من جديد إلى الإرادة الغربية، وهكذا وقع في تركيا أربعة انقلابات في نصف قرن، حتى عرفت بأنها بلد انقلاب كل عشر سنوات.

الآن فشل الانقلاب العسكري في تركيا، وكُسرت تلك السلسلة العنيدة التي طالما كبَلتها، وانتصرت لأول مرة منذ مائة عام إرادة الشعب التركي الإسلامية على إرادة العسكر العلمانيين، ولهذا فإن العالم الإسلامي يعيش استبشارا كبيرا أن يكون هذا الانقلاب الفاشل هو التصحيح التاريخي للانقلاب العسكري على السلطان عبد الحميد الثاني، لتبدأ دورة عودة تركيا كقوة عظمى إسلامية، ويكون جيشها بالفعل هو جيش محمد الذي طالما كان مضرب المثل في القوة والبسالة والعظمة الإسلامية.

إن أخبار الانقلاب في تركيا تابعها كل العالم، لأن الجميع يعرف أن مصير هذا الانقلاب فارق في مسيرة النظام العالمي كله.

### (2) آمال الشعوب الإسلامية

أطلق انتصار الشعب التركي على محاولة الانقلاب العسكري دفقة أمل كبرى لدى الشعوب الإسلامية، لقد رأوا بأعينهم كيف أن الانقلاب العسكري أمر يمكن إفشاله وهزيمته، ولهذا صار كل قوم يفكرون في مصيرهم، فإن كانوا يعانون من انقلاب في بلدانهم (كما في مصر واليمن وليبيا إلى حد ما) صاروا يسألون أنفسهم: لماذا نجح الانقلاب عندنا وفشل في تركيا؟ وصاروا يناقشون الأمر يحاولون أخذ العبرة والعظة والاستفادة في معركتهم القائمة ضد الانقلاب في بلدهم. وإن كانوا يعانون من استبداد عسكري علماني صاروا يناقشون التجربة التركية في كيفية القضاء على الدولة العميقة وتحقيق انتصار شعبي.

وهكذا بات المسلمون في مساء الجمعة هذا والقلق يقتلهم إذ يتابعون أخبار الانقلاب العسكري، ثم أصبحوا والاسئلة تثور في أنفسهم: كيف يمكن الاستفادة من التجربة التركية. إن هذا الأمل وحده مكسب عظيم في معركة تحرير الأمة الإسلامية، وأول من يشعر به ويقدره هم المكافحون في معركة التحرير.

إن نجاح الانقلاب العسكري في تركيا كان يعني انهيار آخر قلعة إسلامية في هذا العالم، لا يتصور حجم اليأس والإحباط الذي كان سيخيم على كل المسلمين بل وعلى كل أحرار العالم إن نجح هذا الانقلاب، كان المشهد سيبدو قاتما مظلما: مشهد انتصار الشر في كل بقعة على سطح هذا الكوكب! مشهد ألم لا أمل فيه، وظلام لا شعلة فيه، وإن مجرد النجاة من هذا الإعصار من اليأس لنعمة كبرى نشكر الله عليها.

### (3)ردود فعل الأنظمة العربية

وعلى قدر ما فرح المسلمون بفشل الانقلاب التركي على قدر ما نُكب حكامهم، أولئك الذين يحاربون كل تجربة ناجحة، وكل ثورة باسلة، وكل أمل في المستقبل.. يريدون أن يسود نموذجهم لكي لا تفكر الشعوب في ثورة، أو في تقدم، لا يريدون للناس أن يأملوا في وضع أفضل مما هم فيه، لا يحبون أن ترى الشعوب نموذجا ملهما!.. لكل هذا فإن الأنظمة المستبدة –العميلة للغرب- شاركت بالتخطيط أو التمويل أو حتى بوسائل الإعلام في تشويه التجربة التركية ودعم الانقلاب العسكري.

كذلك فإن المعارضة العلمانية في البلاد العربية تمتنت نجاح الانقلاب التركي، رغم أنه يفترض بهم أن يقفوا ضده، فتجربة تركيا هي نموذج واضح لتجربة متقدمة راقية، إلا أن العلمانية عندهم هي العداة للإسلام، وأهون عندهم أن يتولى السلطة علمانيون مهما كان فسادهم ويعيش الشعب في الجحيم من أن يتولى السلطة من يوصفون بالإسلاميين وإن حققوا لشعبهم التقدم والرخاء.. نار العلمانية أحب إليهم من جنة الإسلام.

وفي كل الأحوال فالمتوقع الآن هو الاستمرار في تشويه التجربة التركية وزعيمها رجب طيب أردوغان، ومضاعفة الحرب الإعلامية عليها، وستنتقل الأنظمة العربية إلى مراحل أخرى جديدة، منها:

أ. **دعم واحتضان جماعة جولن**، التي ستجد أمامها مساحة واسعة من الدعم المالي والإعلامي وفتح المقرات وإنشاء المدارس والهيئات التابعة لها في البلاد العربية المناهضة للتجربة التركية، وأبرزها: الإمارات ومصر، وستحاول تلك الدول استمرار الوجه الإسلامي لهذه الجماعة في احتواء الجماعات الإسلامية الشبيهة والرموز الدينية الشبيهة أيضا، والمستهدف من هذا هو غسل سمعة هذه الجماعة وتحسين صورتها لدى الشعوب العربية مقابل استعمالها في التمكين لهذه الأنظمة العربية وتطويع الشعوب لها، واستمرار تشويه التجربة التركية وقادتها. ولذا ستجدون في الأيام القادمة وسائل إعلام تفتح شاشاتها وصحفها لفتح الله جولن وكبار أتباعه، كما ستجدون عددا من الهيئات التابعة لتلك الجماعة تنمو في البلاد العربية جهرا أو سرا.

ب. **دعم المتمردين من الأحزاب العسكرية الانفصالية في تركيا**، وذلك من خلال تقديم الأموال والخبرات العسكرية والتسهيلات الاستخباراتية، إذ حيث لم ينجح الانقلاب العسكري في الاستيلاء على السلطة فليكن البديل هو الاستمرار في زعزعة أمن واستقرار البلاد لمناكفة هذه السلطة وإشغالها بنفسها وحصار تمددها إلى المنطقة العربية والإسلامية لتظل التجربة التركية مهددة بعدم الاستقرار فينعكس هذا بالسلب عليها في أنظار الشعوب العربية والإسلامية. ستجدون زيادة في دعم هذه الأحزاب المتمردة وستجدون ارتفاعا في سقف مطالبهم، وازديادا في قوة ووتيرة العمليات المسلحة، والهدف: إضعاف تركيا إن لم يكن تقسيمها من جديد مما يساهم في كسر قوتها المتنامية.

ج. تمويل العمليات التفجيرية والتخطيط لها، وتسهيل تنفيذها، ثم نسبتها إلى أي جماعة مسلحة إسلامية أو كردية أو حتى يسارية، إذ أن اختراق هذه الجماعات مما احترفته أجهزة الاستخبارات العربية، والهدف من هذا أن تزيد معدلات إنهاك النظام التركي واستنزاف قوته حتى يُفرض الاستسلام على السياسة التركية لتعود من جديد إلى بيت الطاعة الأمريكي!

إن تركيا تحظى بانحياز الشعوب وتعاطفها الهائل، وهي في الوقت نفسه تحظى بعباء الأنظمة الحاكمة، وصحيح أن تعاطف الشعوب لن يغني عنها كثيرا في مجال المؤامرات الخطيرة، إلا أن تركيا تستطيع أن تستثمر هذه العاطفة وتحولها إلى عمل حقيقي فعال. إن في تركيا الآن ملايين العرب والمسلمين اللاجئين إليها أو الذين فضلوا أن يعيشوا فيها على سائر البلاد في العالم، ولقد كان أولئك ضمن الذين نزلوا لمواجهة الانقلاب بأنفسهم ومنهم من استشهد ومنهم من أصيب. تستطيع تركيا أن تحول عاطفة هؤلاء إلى أثر حقيقي من خلال أعمال ومنظمات وهيئات تستفيد من هذه الطاقة الهادرة في المشروع التركي الكبير.

#### (4) وقفة مع الديمقراطية

تبدو الديمقراطية في عالمنا الآن

كصنم لا ينفعو لا يضر، منجاء بالديمقراطية تزيحها الدبابات، ومنجاء بالدبابات تلمئ أثر فيها التوسل بالديمقراطية؟

لقد كشف الانقلاب التركي عن أن كهنة الديمقراطية يمكنهم أن يعطوا الدروس في موضوع آخر تماما وهو "كيف تصنع انقلابا ناجحا على الديمقراطية"، فحتفر نسانسي تحادثة نيسا لتتعرضت لها قبلا لانقلاب فيتر كيا بساعات، ودخلت على خط مطالبة أردو غان باحترام القانون والقضاء وتوفير حقوق الانق لا يبين! فانضممت هذا إلى المعزوفة الغربية، هذه المعزوفة تثبت أن انتصار أردو غان فيتر كيا يمكن انتصار ا على حفنة من العسكريين، بل هو انتصار على العواصم الغربية التي تعاملت تماما وكأنها مهزومة وتفشيرو سائلت حجيم المنتصر والتضييق عليهم إهدار مكاسبه!

لقد تابعت جميعا التعليقات الأولى على الانقلاب وكيف كانت ترحب به، لكن المثير للانتباه هنا هو توجه وسائل الإعلام الغربية التي طفتت سأل خبراءها الأمنيين والعسكريين سو الواحد: لماذا فشل الانقلاب فيتر كيا؟! والخبراء منجتهم لم يقصروا في الإجابة، وكشفوا عن أمور "كأنها مفترضة" أن يقوم بها الانقلابيون لكي ينجح انقلابهم! هل رأيت كيف استطاع فلاسفة الديمقراطية أن يدرسوا مادة "كيف تصنع انقلابا ناجحا على الديمقراطية"؟!!

نحن لو نظرنا في تاريخ الديمقراطية لوجدنا أن الغرب لم يحاول زرع الديمقراطية في بلادنا إلا لإضعاف البلاد الإسلامية بتغيير نظامها الاجتماعي والثقافي والحقوقى ودعم التمردات الانفصالية عن جسد الدولة العثمانية وإعطاء الأقليات الدينية والعرقية نفوذاً أو سعيها يدمرنا ضعاف السلطنة العثمانية ومنظمو حاتر كاتالان انفصال عنها وتقييد سلطة الخلافة لصالح رجالهم في مؤسسات الجيش والإدارة الحكومية.. بينما في مصر مثلا ركل الغرب الديمقراطية وألغى البرلمان كله ليثبت احتلاله، وظل البرلمان معطلا لعشرين سنة لم يهتم أحد فيها بالسؤال عن واجب الديمقراطية وحقوق الشعب المصري!

ولمتزلهذه سنة الغرب معنا.

فالغريب هو الذي يدع عمير عبقاء الأنظمة المستبدة، ثم يُحاسبنا علنا أنادو لمستبدة متخلفة ولا ينضج فيها النظام الديمقراطي، ويأتي فلاسفته وعملاؤهم في الداخل ليعطون نادر وسافيا الديمقراطية والنظام الحديثة، رغم أنهم متناج هذا السلطان المستبد التي فتحها لهما الصحفيون الجامعيات مراكز الأبحاث فنوا التلغاف، وهما أنفسهم لم يدعوا أبداً أحرار كديمقراطيين لم يضبطوا مطالب سبينا الهجوم علنا للمستبدين، وهما أنفسهم عند لحظة فارقة يصطفون الجوار الاستبداد ضد رغبة الشعوب.

هل تحتاج بلادنا إلى التحرر أم الديمقراطية؟ أو لن طرح السؤال بشكل آخر: هل يستطيع الحصول على الديمقراطية ضعيف؟!!



هيا التيقننا لشعبنا من قوة المشاهدة المشلو لا ذليلا يدري ما اذا حدثت المو قع عا لفا علامتحر كالمبادر المهاجم . قبل هذا التوضيح لمانا سببو تهميتر قبو نويتخوفون ، ولا يدري ونهلهذا الدبابات التي في الشار عانقلابا بأمهيتابعة لل رئاسة لإجهاضا لانقلاب ، وإن كانته ذا أو ذاك فماذا يكون ندور همالا ن . قرار المواجهة هذا حر كالناسو الطاقات جميعا ، رسائل تصلص ل من ازر ة لاتصال إلهو اتقالمو اطنينند عو هملنزل ، وزارة الأوقافعمتلعدالمؤ ذنينو الأئمةفتحالمساجدو إعلانالكبيرات ، بلدياتحر كتسيار اتالمطافئو النظافةتحر كتلتحاصر ثكنا تعسكرية أو لنتق طعطر قايمداد تعسكرية أو لنتق محمدار جطائر اتقيقو ادجوية [ وكلهذاصنعشلا فيحر كة الانقلابيين ] وأناسي حاصر ونالدبابات أو يغلقو ناظر قبسيار اتهمو أنفسهم أمامها أو أماميحر كة منقاعدة عسكرية . هذا كلهو غير هما كان ليحدثلو لأنالناسو صد لإليهم قرار المواجهة ، فصار كلهم يبد عبا استطاع !

**جـ درس القوة التي تحمي الحق :** لم يكن ممكنا حماية أروغانو لا إنقاذه (وإنقاذ البلاد لكلهما منورائه) لولا أولئك الذين اصطنعوا لهمو كسبو لاء هم من المسلحين ، مهما كان عدد الشعب في الشوار عو الميادين فإني هم لا يصمدون أمام الما ل صاصو القذا نفالمنهرة عليهم من المدر عاتو الدباباتو الطائرات ، هؤ لاء القوات الخاصة منهم من كان في مقر اتيهيصد هجو ما لانقلابيينو منهم من خرجو إلى الشوار عيو اجهو ذ جنود الجيش بالرصاصو التسليح الخفيف ، ومنهم سيار اتكانت مشي في الشوار عتد عو الناس إلى النزلو لوتعد هم بماداد همبالأسلحة . عند لحظة المواجهه المسلحة يكو نا المشهد قدا عندلوا اتزن ، صار نا القوة أمامقوة ، فكيف بقوة تحر صل علنا المواجهة يقود هاز عيمماز اليسير الأمور ويتكرر ظهور همقا بلقوة قد ساد الار تباكصفو فهاو وجدتنفسها أمامو ضعلمتكننتو قعهميدانياو سياسيا؟! وقد صدر فيما بعد تصر يحيقو لبالتكفير في صدور قانو نبتسليحالشعبلمو اجهة مثل هذها أو ضاعفيمابعد ، ولو صدر هذا القرار فسيكون نتار يخاستقلال لتركيا الحقيق . فالشعبو بالمسلة هيا التي لا يحكمها استبدادو لا يقهرها احتلال .

#### دـ درس الحسم :

إنالانقلابات هيا الوجه الآخر للثورات ، وحدثا لانقلاباتو الثور ات هيا الحقيقة حدينا لحر بنفسه ، حيثلا يكتسب طر فالإبمقدار ما يخسر الآخر ، وأيتها و ذ معالعدو قديساو بانقلابا بنتيجة الحر بكلها . وهذا ما فعلته سائر الانقلابات في الثور اتالناجحة عبر التاريخ ، وهو ما فعلهنا السيسى كذلك . لقد كانت الأوامر باعتقال الأروغانا وقتله في الحال ، فتم قصد فمقر هثلاثمر اتواقتحمت هقوة مكو نة من جنديا ، وإطلاق النار عند أي محاولة مقاومة من الشرطة ، وقُصِف من بنا المخابر اتومقر القوات الخاصة ، وكسر نا الطائر اتالحر بية حاجز الصوت ، وماتق بالليلة الأولى لمئاتا مبالرصاصا ودهسالدباباتو المدر عات . . وكان دبالكلأوامر بإطلاق النار . ولأنالجميع يعر فأنها ضر بة واحدة : حياة أو موت ، فلقد كانت فتلجز ع بسبب من الخطه ( اغتيا لأروغان ) يساوا ينفكر بعضهم لم يكتشفوا بعد فيالتر اجعو إعادة التوضع ، وهو ما أدبالمز يدمنتد هور الخطه وفشلها .

حفظ الله تركيا وشعبها ، وجعل انتصارها هذا فاتحة انتصارات الأمة الإسلامية في المرحلة المقبلة ، ونسأله تعالى أن يحفظ شعوبنا وبلادنا وأن يخلصها من الاحتلال والاستبداد ، وأن ينعم علينا باليوم الذي نكون فيه جميعا أمة واحدة في دولة واحدة لها قوة هائلة واحدة هي القوة العظمى التي تنتشر العدل والحق في هذا العالم الزاخر بالمظالم والجرائم .